University of Zawia - Rewaq Alhkma Journal (UZRHJ)
Volume 8, Issue 1, (2024), pp. 81-96

Culture of the Andalusian Writer

Walid Al-Ashkham

Faculty of Languages and Translation - University of Zawia
Zawia - Libya
EMAIL: w.alasham@zu.edu.ly

Received:05 /02/2024 /Accepted: 30/02/2024 Available online: 30/06/2024.*DOI:10.26629.UZRHJ.2024.06*

ABSTRACT

• The Andalusians were interested in all types of sciences, including literature, and they realized that familiarizing themselves with the literary heritage and practicing it are the most important tributaries in building a sound cultural base.
• Andalusian literature began to witness widespread development at the end of the fourth century AH.
• Writing received great attention among Andalusians because it is considered a mirror of the state's reality and level.
• The Andalusians opened the door to poetry and prose. Most of the Andalusian writers were poets, and they excelled in the arts and types of writing. Andalusian writers enjoyed a high status among kings and ministers.
• The importance of writing in Andalusia was demonstrated by the inclusion of writers among the rulers. Because they are able to write official letters in precise language, and writing has become a bridge for the writer to cross to reach the highest ranks in the state.
• For a writer to reach the highest positions in the state, he must meet conditions that he must overcome, including: religion, piety, and honesty, and that he be a memorizer of the Book of God Almighty and the hadiths of the Messenger, may God bless him and grant him peace, as well as the poetry of the Arabs, their news, and their days.
• Writing did not stop with men only, but a number of women became proficient writers, and women also participated in the profession of writing.
• Entire families excelled at writing, and it became widespread among a number of members of the same family and even became inherited between parents and children in the same family.

Keywords: The Andalusian writer - poetry and poetry - Andalusian society - writing.

"Articles published in *Univ Zawia Rewaq Alhkma* J are licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License."

ثقافة الكاتب الأندلسي

وليد الأشخم

كلية اللغات والترجمة – جامعة الزاوية
الزاوية – ليبيا
EMAIL: w.alasham@zu.edu.ly

تاريخ الاستلام: 2024/02/05م **تاريخ القبول: 2024/02/30م** **تاريخ النشر: 2024/06/30م**

ملخَّص البحث:

اهتم الأندلسيون بسائر أنواع العلوم ، ومن هذه العلوم الأدب، وأدركوا أن الاطلاع على التراث الأدبي والتمرس فيه يعد أهم الروافد في بناء القاعدة الثقافية السليمة. فبدأ الأدب الأندلسي يشهد تطوراً واسعاً مع نهاية القرن الرابع الهجري. كما حظيت الكتابة باهتمام بالغ لدى الأندلسيين لأنها تعد مرآة واقع الدولة ومستواها.

طرق الأندلسيون بابي النظم والنثر، فقد كان معظم كتّاب الأندلس شعراء، فأبدعوا في فنون الكتابة وأنواعها، وحظى كُتّاب الأندلس بمكانة عالية لدى الملوك والوزراء. ولكي يصل الكاتب إلى المناصب العليا في الدولة لابُدَّ له أن تنطبق عليه بعض الشروط منها: الدين، والورع، والأمانة ، وأن يكون حافظاً لكتاب الله –تعالى – وأحاديث الرسول –صلى الله عليه وسلم–، وكذلك لأشعار العرب وأخبارهم، وأيامهم. لم تقف صفة الكتابة عند الرجال فقط، بل نبغ عدد من النساء الكاتبات، كما شاركت المرأة في مهنة الوراقة. ونبغ أُسرٌ كاملة في الكتابة ، وشاعت بين عدد من أفراد الأسرة الواحدة بل أصبحت متوارثة بين الآباء والأبناء في الأسرة الواحدة.

كلمات مفتاحية: الكاتب الأندلسي . المنظوم والمنثور . المجتمع الأندلسي . الكتابة.

مقدمة:

اهتم الأندلسيون بسائر العلوم لا سيما الأدب الذي يعد من أنبل العلوم عندهم، يقول المقَّري: "وعلم الأدب المنثور من حفظ التاريخ والنظم والنثر ومستظرفات الحكايات أنبل علم عندهم، وبه يُتقرب من مجالس ملوكهم وأعلامهم، ومن لا يكون فيه أدب من علمائهم ولو غُفْل مُسْتثقل"(التلمساني،1988، 222).

من هنا أدرك الأديب الأندلسي أن الاطلاع الواسع على التراث الأدبي والتمرس بروايته وحفظه يمثل رافداً أساسياً في بناء القاعدة الثقافية السليمة للمبدع(الجبروي، 2002، 63)، ولكن قبل هذا كله لا بُدَّ له من دعائم أساسية يؤسس منهجه عليها، لذا اتجه إلى مراكز التعليم منذ نعومة أظافره، فابن شهيد(الاشجعي،1983، 189) كواحد من أدباء الأندلس المشهورين، يشير إلى أن تعليمه بدأ بتعلّم الهجاء وفي ذلك يقول: "كنت أيام كتاب الهجاء، أحنّ إلى الأدباء ، وأصبو إلى تأليف الكلام، فاتبعت الدواوين، وجلست إلى الأساتيذ، فنبض لي عرق الفهم ودَرَّ لي شريان العلم"(ابن بسام،1998، 246).

إشكالية البحث:

يسلط هذا البحث الضوء على ثقافة الكاتب الاندلسي، وأثرها في تطوير الأدب بصفة عامة، وتواصل الكتّاب مع الملوك والأمراء والوزراء وتأثيرهم عليهم. بل حثهم على مجاراتهم في العلم والأدب، كذلك الصفات التي يجب توفرها لدى الكتّاب وما يترتب عنها من تجديد في الموضوعات الأدبية.لهذا فإن إشكالية البحث تتمثل في الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي:

- ما أثر ثقافة الكاتب الأندلسي على تطور العلم والأدب ؟، وقد تفرع من هذا السؤال الأسئلة الفرعية التالية:
- ما أهمية الكتابة في المجتمع الأندلسي ؟ وكيف نشأت وتطورت؟ وما شروطها وأركانها؟
- ما هي العوامل التي أدت إلى بروز الأندلسيين في فني المنظوم والمنثور؟
- كيف تأثر الكتّاب الأندلسيين بالكتّاب المشارقة؟

أهمية البحث:

لقد بدأ الأدب الأندلسي يشهد تطوراً واسعاً مع نهاية القرن الرابع الهجري فقد اتسع النطاق المكاني لهذا الأدب، وتعددت أسماء الأدباء الذين يستوقفون الدارس الأدبي، فبعد أن كانت قرطبة هي الدائرة الكبرى التي ينجذب إليها الأدباء من شتى النواحي، تكاثرت المراكز الأدبية، وكثر المادحون، وحماة الأدب ورعاته، وكثرت دواوين الإنشاء وتعدد الوزراء الكتَّاب(عباس،1985، 107).

وقد حظيت الكتابة – وعلى رأسها أدب الرسائل– باهتمامٍ بالغ لدى الأندلسيين، حيث أدرك المجتمع الأندلسي – وفي مقدمته الخلفاء وكبار البلغاء – أهمية أدب الرسائل، وضرورة الاهتمام بقيمه الجمالية والفنية، باعتباره مرآة واقع الدولة ومستواها الحضاري(القيسي،1989، 94).

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

1. توضيح أهمية الكتابة في المجتمع الأندلسي ونشأتها وتطورها وشروطها وأركانها.
2. شرح العوامل التي أدت إلى بروز الأندلسيين في فني المنظوم والمنثور.
3. الوقوف على مدى تأثر الكتّاب الأندلسيين بعلم وثقافة الكتّاب المشارقة.

منهج البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي، بالإضافة إلى استخدام المنهج التاريخي من حين لآخر. لتوضيح بعض المواقف التاريخية التي تتعلق بالكاتب الأندلسي.

وقد تم تقسيم البحث إلى النقاط التالية:

أولاً:. بروز الأندلسيين في فني المنظوم والمنثور:.

شهدت الأندلس في مطلع القرن الخامس الهجري اضطراباً سياسياً واضحاً أدى إلى انقسام الدولة الواحدة إلى دويلات متعددة، فتعددت جوانب اهتمامها واتصالاتها لِاسَّيما الخارجية منها، فتَطّلب ذلك وجود مراسلات متنوعة تلبي حاجاتها الإدارية والسياسية الداخلية والخارجية، فظهر عدد من الكُتّاب الذين نالوا حظاً وافراً من الشهرة، وزخرت بهم وبكتاباتهم كتب مصادر الأدب الأندلسي، وَلَقِيتْ جَمِيعُ فُنَون النَثر التقليدية ترحيباً واسعاً لدى الأندلسيين، وزادوا عليها ما اقتضته ظروف حياتهم الخاصة، وبذلك أضفوا على نثرهم طابعاً مميزاً، وهو وليد أمزجتهم وثقافتهم وأوضاع مجتمعهم وشاعريتهم، ولمَّا كان أكثر أدباء الأندلس يجمعون بين النثر والشعر فقد ملكوا القدرة على التمييز بين الموضوعات التي تصلح للشعر، والتي تصلح للنثر (عتيق،1976، 347).

لقد طرق الأندلسيون بابي النظم والنثر وأخذ الشعراء يقطعون الأندلس طولاً وعرضاً ينتجعون قصور الملوك والأمراء للظفر بصلاتهم والطمع بأعطياتهم(القيسي،65)، بل إن كُتَّاب الأندلس كانوا شعراء في معظم الأحيان، كابن زيدون ، ابن دراج، وابن شُهيد وغيرهم، لهذا استطاع هؤلاء الكتَّاب بما أوتوا من موهبة شعرية متوقدة، وذوق أدبي ولطف خيال، أن يرتقوا بأساليب النثر العربي ومذاهبه حتى صار كالشعر المنثور لا ينقصه غير الوزن والقافية(عتيق، 1989، 453).

وأبدع الأندلسيون في فنون الكتابة وأنواعها، وعالجوا شتّى الموضوعات، وأجادوا فن النظم وحاكوا المثل العليا المشرقية(ضيف،144)، وقد أشار ابن بسام إلى تميز الأندلسيين في فنيّ النظم والنثر، حيث قال: "وما زال في أفاقنا هذا الأندلسي القَصِيّ إلى وَقْتنا هذَا مِن فُرسان الفَنَّيْن، وأئمة النّوعين قومٌ هُم مَا هُم طيب مكاسر، وصفاء جواهر، وعُذوبه موارد ومصادر، لَعِبُوا بأطراف الكلام المُشقّق، لَعب الدُّجى بجفون المورّق، وحدوا بفنون السحر المنمَّق، حُدَاء الأعشى ببنات المحلّق، فصبَّوا على قوالب النجوم، غرائب المنثور والمنظوم"(ابن بسام، 11).

بل إنهم باهوا الزمان بعجائب أشعارهم ورسائلهم لما تميزوا به من انتقاء عباراتهم وحسن توظيفها، بقول ابن بسام: "وباهوا غُرر الضُّحى والأصائل، بعجائب الأشعار والرسائل، نثر لو رآه البديع لنسي اسمه، أو اجتلاه ابن هلال لولاَّه حكمه، ونظم لو سمعه كثير ما نسب ولا مدح، أو تتبعه جّرُول ما عوي ولا نبح(ابن بسام ، 1، 12).

وحظي الكتاب والشعراء بمكانة عالية لا سيّما في بلاط الملوك والوزراء التي كانت مسرحاً للمطارحات الأدبية والنظرات النقدية، فكان الأدباء والشعراء يجتمعون في تلك المجالس للمذاكرة في الأخبار ومدارس الشعر، فيتعاطون المنظوم والمنثور، وكان الشعر يقرض في هذه المجالس ارتجالاً وعلى البديهة، وقد أبدع الشعراء والكتاب في وصف هذه المجالس والدعوة إليها، ومن هذه المجالس الأدبية تلك التي كانت تعقد في مجلس المعتمد بن عباد يوم الاثنين من كل أسبوع(القيسي، 70).

وإذا علمنا أَنَّ الشَّعر يُقْرضُ ارتِجالاً في تلك المجالس، فإن النثر أولى بتلك السّمة لا سيما في فن الخطابة، ولعلّ خطبة المنذر بن سعيد بين يدي الخليفة الناصر ورسل الروم الذين وفدوا يطلبون المسالمة

سنة (338 هـ) خير شاهد على تمييز الأندلسيين بسرعة البديهة والقدرة على الارتجال، حيث قَدّم الخليفة أستاذه أبا علي القالى ليخطب الحفل، لكن القالي بهت ووقف ساكتاً بعد أن حمد الله تعالى وأثني عليه، فقام المنذر بن سعيد متداركاً الموقف، فوصل افتتاح القالي، وخطب خطبة كأنما كان قد أعدّها من قبل(مطمح الأنفس، 237-245)، ولا شك أن هذا النوع من الخطابة أوجدته ظروف سياسية واضحة، هي إجلال الخلافة، وإظهار هيبة السلطان أمام الحاشية(ابن محمد، 1980، 191).

ومما تجدر الإشارة إليه أن معظم كتَّاب الأندلس يجمعون بين النثر والشعر، ويجيدون فيهما على حَدَّ سواء، وقد عُرِف مَنْ أحسنَ النظم والنثر من الوزراء بذي الوزارتين، أما من أتقن النثر وحده فقد عُرِف بالوزير الكاتب(القيسي، 42).

ومن بين الكتاب الذين ذاع صيتهم ابن شهيد، حيث برع في فنون النظم والنثر، حتى قال عنه صاحب الذخيرة: "إن هزل فسجع الحمام، أو جَدَّ فزئير الأسد الضرغام، نَظْم كما اتسق الدر على النحور، ونثر كما خُلط المسك بالكافور(ابن بسام، 1982).

وكان أشدَّ ما يغيظ ابن شهيد إلصاق العيب بإنشائه وشعره، ولذلك تعقب ابن الأفليلي (441هـ) أحد معلمي اللغة العربية في قرطبة بشدّة، وتهكم به كلما سنحت الفرصة، وهاجم من أجله طبقة المعلمين، كما صب جام غضبه على أبي بكر المعروف بإشكمياط لأنه زعم أن شهيد ينتحل ما لغيره(عباس، 2001، 255).

إن ازدهار الأدب لدى الأندلسيين ونبوغهم في حقوله، لا يعود إلى الرعاية والحرية التي أضفاها الملوك على المظاهر الثقافية فحسب، وإنّما يرجع إلى الطريقة التي جرى عليها تعليم اللغة العربية الفصحى آنذاك(بيريس، 1988، 29).

ويمكننا القول إن أكثر ما يميز الكُتَّاب الأندلسيين أن أكثرهم من فرسان الفَنَيّن، الشعر والنثر، وإن كان لهذا الأمر فائدة فإنّها تظهر في حسن اختيار الموضوعات، ودقة اختيار الألفاظ التي تصلح للنثر دون الشعر، ولهذا فإن القارئ يجد نثرهم رفيقاً كشعرهم(الشريف، 284).

نشأة الكتابة في الأندلس وتطورها:

إنّ الدارس لفنون النثر الأندلسي يجد فن الرسالة من أسبق ألوان النثر الفني ظهوراً في الأندلس، وقد كان الأندلسيون متمكنين من الخطابة والشعر والنثر منذ قدومهم لتلك البلاد، حيث يؤكد ابن بسام بقوله: "إن أهل هذه الجزيرة – مُذ كانوا – رؤساء خطابة ورؤوس شعر وكتابة"(ابن بسام، 1: 14).

وكانت لفظة الكاتب في الأندلس تطلق على طبقتين من الناس، كُتَّاب الرسائل وكتاب الزمام، فكاتب الرسائل له حظ في القلوب والعيون عند أهل الأندلس، وأشرف أسمائه الكاتب، وأما كاتب الزمام فهو المسؤول عن شؤون الخراج(عباس، 15).

وقد ظهر ديوان الرسائل في الأندلس منذ النصف الأول من القرن الثاني الهجري، حين اتخذ الولاة والأمراء منذ بداية هذا القرن كُتاباً يكتبون لهم فيما يصدر عنهم من رسائل وعهود، وفيما يكاتبون به عُمَّالهم وولاتهم(القيسي، 95).

وفي القرن الثالث الهجري أصبح للكتابة ذات الطابع الرسمي حضور واضح لدى الولاة والأمراء وكتّاب الدواوين، لبسط أخبار الفتن والثورات، وبيان سياسة الحكم تنظيم شؤون الدولة وتسييرها، وما يتعلق بحقوق الرعية وواجباتها أو التعبير عن همومها ورفع شكاواها وتظلماتها إلى الحاكم(نجا، 2006، 161).

وعندما جاء القرن الرابع الهجري شهد أدب الرسائل تطوراً كبيراً من الناحيتين الموضوعية والفنية، فمن الناحية الموضوعية كثرت الرسائل الديوانية وتعددت أغراضها، وأصبح الكاتب الأندلسي ينشئ الرسائل السياسية والحربية ويكتب العهود والمواثيق(القيسي، 95).

وأما من الناحية الفنية فقد اهتم الكُتَّاب بعناصر البناء الفني للرسالة من حيث البداية والموضوع والخاتمة، كما اهتموا بالمحسنات البديعية من سجع وجناس ومقابلة وازدواج، ومالوا إلى الإطالة والإطناب وإلى تزيين رسائلهم بالشعر(القيسي، 96).

أما في القرن الخامس الهجري فقد تطور أدب الرسائل تطوراً لم يسبق له مثيل في القرون السابقة، ومن مظاهر هذا التطور ترسّم كتّاب الأندلس خطى المشارقة، وتأثرهم بأساليب النثر المشرقي سواء في الأغراض أو في طرائق التعبير والأداء(الشريف، 229).

وكان ابن شهيد واحداً من نقاد القرن الخامس الهجري في الأندلس، حيث وضّح أراءه في أصول الكتابة وطرائقها، فقال: "لكل عصر لكل عصر بيان، ولكلّ دهر كلام، ولكل طائفة من الأمم المتعاقبة نوع من الخطابة، وضرب من البلاغة ... ألا ترى أنّ الزمان لمَّا دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن إلى طريقة عبد الحميد، وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من أهل البيان؟"(ابن بسام، 237).

وقد استطاع(الاشبيلي، 311) الكلاعي أن يقف على حقيقة التطور الفني الذي اصاب النثر الأندلسي في عصره بصورة عامة ، وأن يفرّق بين مذهبين سادا النثر الفني الأندلسي في القرن الخامس الهجري(القيسي، 311).

وأول هذين المذهبين: المصنوع، وسَمَّاه بذلك لأنه نُمِّق بالتصنيع، ووُشّح بأنواع البديع، وحُلّي بكثرة الفواصل والأسجاع ، وثانيهما المرصع ، وسمَّاه بذلك لأنه رُصّع بالأخبار والأمثال والأشعار وآيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى غير ذلك من النحو والعروض وحل أبيات الفريض(الإشبيلي،121-134).

وقد ارتفعت قيمة الوظائف الكتابية، وتعددت فروعها، وشاعت ألقاب الوزارة عند من يتولونها، وصار الكتَّاب الوزراء من أخص خاصة الحلفاء والأمراء لأنهم اللسان الناطق بتوجيهاتهم، والمبلّغ لأوامرهم حين يكتبون، وهم موضع الأمانة ومستودع السر في كل ما يرد إلى أمير المؤمنين من أنباء وتقارير ومراسلات(ابن محمد، 173).

أهمية الكتابة في المجتمع الأندلسي:

لقد أفضى انقسام الأندلس إلى أندلسيات متعددة على العلم والأدب تقدماً ورقياً عظيماً، إذ تعددت مراكز النشاط الأدبي فيها، وكان كل حاكم أو أمير يعني بأن يكون في بلاطه أهم كاتب في إقليمه، ومن ثم أصبحت كل مدينة تشتهر بكاتب مهم إن لم يكن بطائفة من الكتَّاب(ضيف، 1960، 385) وكان الحُكَّام والأمراء يختارون كُتَّاب الرسائل من أهل الأدب والثقافة، وممن ملكوا تقاليد البلاغة والفصاحة واتصفوا بالملكة البيانية وغيرها من أدوات الكتابة(القيسي، 93).

وكان هؤلاء الحكام يحيطون أنفسهم بكُتّاب قادرين على تحرير الرسائل الرسمية في لغة دقيقة، كتلك التي شهر بها ابن العميد والصاحب بن عباد في المشرق، ومن الملاحظ أن التنافس بين الأسر الحاكمة لا يقتصر على المجال السياسي فحسب، وإنما تحاول كل أسرة أن تتفوق على جيرانها ومنافسيها باختيار كُتّابِها من بين الأدباء الأوسع شهرة ، والأكثر تفوقاً على زملائهم في البلاطات الأخرى(بيبرس، 29).

وبلغ من أهمية الكتابة أنها أصبحت جسراً يعبره الكُتَّاب للوصول إلى المناصب العليا في الدولة إذ إن الوزارة تتصل قبل أي شيء آخر بالكتابة، فإن كان الكاتب على مقدرة شعرية ممتازة صح له أن يبلغ مرتبة الوزارة، ويكون شعره ميزة تعينه على ذلك، لكنه لو انفرد بالشعر دون الكتابة لما استطاع أن يبلغ تلك الوظيفة(القيسي، 145).

وفي بيان فضل الكتابة وأهميتها وصل الحسد ببعض الكُتَّاب إلى إقامة مناظرة بين السيف والقلم، حيث كان ابن برد الأصغر أول من سبق إلى القول في هذا الجانب الأندلسي، ولعلَّ اختيار السيف والقلم جاء لكونهما وسيلتين للوصول إلى المجد والشرف والمراتب العليا، والقاري لتلك المناظرة(ابن بسام، 523ـ 588) يلمس تأكيداً على أهمية دور القلم، يقول ابن برد: "والأفضل من فضله الله – عز وجل – في تنزيله، مقسماً به لرسوله، فقال: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾(القلم،1)، وقال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾(الغلق،1)، فَجلَّ من مقسم وعز من قسم ..... لقد أخذت الفضل برمته، وقدمت الفخر بأزمته"(ابن بسام، 1/1: 524).

وإذا كانت حاجة الملوك والأمراء إلى الشعراء تكمن في نشر فضائلهم والتغني بمحاسنهم فإن حاجتهم إلى الكتاب أكبر، إذ كان الكاتب عوناً للسلطان في إدارة شؤون الإمارة وجمع الضرائب وقد أشار ابن بسام إلى ذلك بقوله: "واحتاجوا في حبابه أموالهم وتدمير رجالهم، إلى ذلك الفلّ من الكتاب القرطبيين الذين أصبحوا يومئذ أيدي سبا وتفاريق العصا، فشاركوهم في نعمتهم وألقوا إليهم بأزمتهم، متعهدين تدبيرهم لأكنافهم، مؤتمنين بهم في شقاقهم وخلافهم(ابن بسام، 1/3: 2: 22).

وفي هذا المعنى يؤكد القلقشندي (توفى : 821هـ) في صبح الأعشى على أهمية الكتابة، مشيراً إلى أنها من أشرف الصنائع لعظيم عائدتها على السلطان ودولته، لأنه يحتاج في انتظام أمور سلطانه إلى ثلاثة أشياء، لا ينتظم ملكه مع وقوع خلل فيها، أحدها: رسم ما يجب أن يرسم لكل من العمال والمكاتبين عن السلطان ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة، من أمر ونهي وترغيب، ووعد ووعيد، الثاني: استخراج الأموال

من وجوهها، استيفاء الحقوق السلطانية فيها، والثالث: تفريقها في مستحقيها من أعوان الدولة وأوليائها الذين يحمون حوزتها، ويسدون ثغورها ويحفظون أطرافها ويذبون عنها رعاياها(شمس الدين، 67، 68).

مادام الكاتب لسان الخليفة فإن سمعة الخلافة والدولة ترتبط بما تتصف به التي يُدبجها الكاتب من فن أدبي وقيم جمالية، وأن أي عثرة قلم أو سهو بال أو غيره ينقص من قدر الخلافة(القيسي، 94).

لهذا كله أدرك الكاتب الأندلسي عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، فأيقن أن براعته لا تتجلي في قدرته على تطويع جزء يسير من المخزون الثقافي لاستيعاب ثقافة عصره فقط، بل فى إصراره على تقديم إبداع جديد يسيرُ جنباً إلى جنب مع التطور الحضاري الذي تتطلع إليه بيئته، ويطمح إلى تحقيقه مجتمعه(الجبوري، 63).

ومما زاد من أهمية الكتابة أن رسائل الكتاب الأندلسي كانت وسيلة لبثّ الروح الحماسية، وشحذ الهمم لإنقاذ الأندلس من خطر التكتل الصليبي الذي كان يهدف لاستعادة الأندلس إلى حظيرة النصرانية إضافة إلى الرسائل التي كانت تحض على الجهاد لإنقاذ الأندلس، كتلك التي يبعث بها ملوك الطوائف إلى المرابطين، يطلبون منهم العون والمساعدة في رَدَّ الخطر الداهم الذي يسعى إلى طمس الهوية الإسلامية في الأندلس(القيسي،144).

اهتم الأندلسيون بفن التوقيعات(جرار وأخرون، 2000، 16)، ولاشك أن الازدهار الذي شهدته الأندلس في شتى مناحي الحياة في عصر بني أمية انتقلت آثاره إلى مختلف الفنون بما في ذلك فن التوقيعات، وقد كان الخليفة عبد الرحمن الناصر (300–350) معروفاً ببلاغته وتوقيعاته، ومن عنايته بالتوقيعات أنّه قَلدّ الوزير الكاتب عبدالله الزجالي في تنفيذ كل ما يخرج في العهود والتوقيعات(القيسي، 143. 144).

ولا شك أن الانهيار السياسي الذي أصاب الأندلس في القرن الخامس الهجري، وما نتج عنه من فساد اجتماعي وانتشار للترف والبذخ، وانصراف ملوك الطوائف ووزرائهم عن مصلحة الأمة إلى المظاهر الكاذبة وانشغالهم بشرب الخمور، وارتكاب المعاصي، كان له دور فعّال في شيوع أدب الرسائل وتعدد موضوعاته، حيث صور الكُتَّاب جوانب متعددة لتلك الحياة، وعبروا عن الظروف النفسية الصعبة التي عاشها الشعب الأندلسي آنذاك(الكاتب، 1988، 282).

شروط الكتابة وأركانها:

إن كلمة كاتب تتجاوز الحد إلى كون الكاتب عقل الدولة المفكر ومشيرها المدبّر، فهو بمثابة رئيس وزراء يلتقي فيه أمر التنظيم وفي الخليقة أمر التنفيذ، وهذا ما يفهم من قول عبد الحميد الكاتب: "وألسنتم التي ينطقون بها وأيديهم التي بها يبطشون"(الكاتب، 281)، فالكتاب يحظون بمكانة سامية، فهم يشكلون طبقة عالية بعد الأنبياء والمرسلين كما أشار إلى ذلك عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى الكتاب، إذ قال "فإن الله –عز وجل– جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين – صلوات الله عليهم أجمعين – ومن بعد الملوك المكرمين سوقاً... فجعلكم معشر الكُتّاب في أشرفها صناعة"(القيسي، 45).

وقد شُغِل الكتَّاب بشروط الكتابة حيث استحسنوا أن يكون الكَاتب مقبول الصورة، سليم الجوارح، ذلك أنه كان يجالس الخليفة ويلازمه، لهذا لم يصل ابن شهيد إلى منزلة للكتابة عن المظفر بن أبي عامر رغم شوقه إلى بلوغ تلك المنزلة إذ قعد به ثقل سمعه كما قعد بالجاحظ إفراط جحوظ عينيه، وبأبي قاسم الأفليلي ورم آنفه(ابن بسام، 1/1: 243)، وفي ذلك يقول ابن شهيد: "إذ لابَدَّ للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليه عينه، وأذن ذكية تسمع منه حسّه، وأنف نقي لا تُذَمّ أنفاسه عند مقاربته له"(الأعشى، 1: 139).

كما يجب أن يكون الكاتب ممكناً من عقله، فإن العقل أساس الفضائل وأصل المناقب، فإذا كان تام العقل كامل الرأي وضع الأشياء في مكاتباته وخطاباته مواضعها، وخاطب كلَّ أحد عن السلطان بما تقتضيه الحال التي يكون عليها.

وقد أورد أبو الفضل الصوري – وهو أحد كتاب الإنشاء أيام القاضي الفاضل – مجموعة من الصفات والآداب التي ينبغي للكاتب أن يتحلى بها، فقال: "يجب أن يكون صبيح الوجه، فصيح الألفاظ، طلق اللسان، وقوراً ، حليماً، مؤثراً للجد على الهزل، كثير الأناة والرفق، شديد الذكاء، متوقد الفهم، حسن الكلام إذا حَدّث، سريع الرضا، بطيء الغضب... وأن يكون محباً للشغل أكثر من محبته للفراغ"(الأعشى، 1: 100)، وأغلب هذه الصفات يكون الحظ فيها للملك أكثر منه فيهما له، لأنه كثيراً ما يراه الملك ومحاوره.

وإضافة إلى هذه الصفات التي ينبغي أن يكون عليها الكاتب، يذكر محمد بن إبراهيم الشيباني (564هـ) وهو أديب أندلسي من كتاب الولاة في قرطبة صفات أخرى ينبغي لكل كاتب أن يتصف بها، ومن هذه الصفات: اعتدال القامة، وصغر الهامة، وخفة اللهازم، وكثافة اللحية، وحلاوة الشمائل، وملاحة الزي، كما يجب أن يكون عطر الرائحة، دقيق الذهن(ابن الأثير،1939، 1: 76).

ومن الأمور التي يجب توافرها في الكاتب أن يكون ذا دين وورع وأمانة، وذلك لأنه حاز منزلة كبيرة يتحكم بها في أرواح الناس وأموالهم، وأن يكون مسلماً فقد صح أنه لا يجوز أن يرقى إلى هذه المرتبة إلا مسلم، فلا يتخذ من يخرج عن دين الإسلام لهذه الصناعة لقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] (المائدة، 51). وكذلك ينبغي للكاتب أن يكون متمذهباً بالمذهب الذي عليه الملك، ليكون أنقى جيباً وأنصح يميناً، وعندما يكون الكاتب على مذهب الملك فإنه يكون مجتهداً في خدمته مبالغاً في نصيحته.

ومن الشروط الأساسية التي ينبغي توافرها في الكاتب أن يكون حافظاً لكتاب الله – تعالى – ، ولأحاديث الرسول – صلى الله عليه وسلام–، وأن يكون حافظاً لأشعار العرب حافظاً لها، ولأخبار الملوك وأيام العرب والعجم، يقول ابن الصيرفي: ويجب أن يكون حافظاً لكتاب الله – تعالى– أو قيماً بقراءته إذا قرأه، ويكون حافظاً لأخبار الرسول والأئمة من ذريته – صلى الله عليهم أجمعين – ، راوياً لأخبار الملوك وأيام العرب ووقائعهم، ويجب أن يكون حافظاً للأشعار راوياً للكثير منها.

وقد أكد ابن الأثير على ضرورة توافر هذه الشروط في معرض حديثه عن طرق تعلم الكتابة، إذ بين أهمية حفظ الكاتب لكتاب الله – تعالى – وأحاديث نبيه – صلى الله عليه وسلم – ولأشعار العرب ذلك

أن الكاتب أحوج ما يكون إلى هذه الثلاثة للاستشهاد بشيء منها، فعلى الكاتب "أن يصرف همه إلى حفظ القرآن الكريم، وكثير من الأخبار النبوية، وعدة من دواوين فحول الشعر، ممن غلب على شعره الإجادة في المعاني والألفاظ، ثمَّ يأخذ في الاقتباس من هذه الثلاثة – أعني القرآن والأخبار النبوية والأشعار – فيقوم ويقع، ويخطئ ويصيب، ويضل ويهتدي – حتى يستقيم على طريقة يفتتحها لنفسه"(ابن الأثير، 26).

ولا شك أن القرآن الكريم يحتاج من الكاتب تلاوة دائمة، ومواظبة لازمة لكي تبين له المعاني، ذلك أن كثرة التلاوة تطلع القارئ على معان جديدة، وفي هذا المعني يقول ابن الأثير: "وكُنتُ إذا مررت بسورة من السور يسنح لي في حل معان منها مآرب وأوطار، وأظنّ قد استوفيت ما أريده منها، ثم أتلوها بعد ذلك فتسنح لي معان غير تلك الأولى، وكذلك كلمات تجددت التلاوة تجددت معان بعد معان"(ابن الأثير، 30).

ومن يقرأ تاريخ الأندلس يدرك الأهمية الكبرى التي أولاها الأندلسيون للقرآن الكريم في تعليم الناشئة لديهم، إذ جعلوه أصلاً في التعليم، يقول ابن خلدون: "وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسّه، ومنبع الدين والعلوم جعلوه أصلاً في التعليم(ابن خلدون، 125، 126). وكذلك حرص الأندلسيون في تعليمهم لأبنائهم على رواية الشعر، يقول ابن خلدون:" ويخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب..." (ابن خلدون، 1251).

وأما الفصاحة والبلاغة فهما ركنان أساسيان لا غنى للكاتب عنهما، يقول ابن الصيرفي: "ويجب أن يكون من البلاغة والفصاحة إلى أعلى رتبة وأسنى منزلة بحيث لا يوجد أحد في عصره يفوقه في هذا الفن، فإنه لسان السلطان الذي ينطق به ويده التي يكتب بها(ابن الصيرفي، 10).

ولعل المتتبع لطريقة تعبير الكاتب الأندلسي عن المعاني يلحظ أنهم اعتمدوا على عدد من الأدوات لإخراج عباراتهم بأسلوب جميل مؤثر كالخيال والصور البيانية وبعض المحسنات البديعية كالطباق والمقابلة، فالخيال – مثلا – كان عند الكتّاب الأندلسيين مبنياً على التصوير البياني الذي يعتمد على إيراد الصور والتشبيهات والاستعارات المختلفة اعتماداً كبيراً(القيسي، 360)، وهذه الأدلة تكشف عن مدى فصاحة الكاتب الأندلسي وبلاغته التي طالما ظهرت جلية في سائر كتاباته.

ولكي يكون كلام الكاتب على شيء من البلاغة وقدر من الفصاحة، لا بُدَّ له من معرفة النحو والإشراف على لغة العرب ونوادر البلغاء وكلام الفصحاء.

وكان إحكام الخط وإقامة الحروف في الرسائل شرطاً أساسياً، ومما يؤكد ذلك الرسالة التي روجها ابن برد الأكبر عن المظفر بن أبى عامر إلى ولاة الأقاليم، حيث يقول: "وأن تكون صدور كتب الاعتراضات وعناوينها وتواريخها والأعداد في رؤوس رسومها، خطوط أيدي القوّاد والعمال، من كان منهم كاتباً فبيده، ولم يكتب فبخط كاتب معروف، وأن تكون تسمية طبقات الأخبار فيها قائمة الخطوط بَيّنة الحروف(ابن بسام، 1/1: 106، 107).

وأكد ابن البطليوسي في معرض حديثه عما يحتاجه الكُتَّاب في صناعتهم، إلى حاجة الكاتب إلى تحسين خطه وتقويم حروفه، إذ يقول: "فأبعد غايات كاتبنا أن يكون حسن الخط، قويم الحروف"(البطليوسي، 1981، 1: 49)، ومن أمثالهم في الخط [الخط نصف الكتابة] وقالوا: "رداءة الخط قذى في عين القارئ"(ابن بسام، 1/1: 496).

ومن الصفات التي ينبغي على الكاتب التحلي بها في عِشْرَة الملوك والعظماء: الإخلاص والنصيحة والاجتهاد وكتمان السّر والشكر والوفاء والتمسك بآداب الخدمة وتخير الأوقات المواتية لخطاب مليكه والاقتصاد في اللباس(الأعشى، 1: 106).

وقد اشار ابن الأثير إلى الأركان التي لابُدَّ من إبداعها في كل كتاب بلاغي ذي شأن، وهذه الأركان هي: أن يكون مطلع الكتاب عليه جدة ورشاقة فإن الكاتب من أجاد المطلع والمقطع، وأن يكون الدعاء المودع في صدر الكتاب مشتقاً من المعنى الذي بنى عليه، وأن يكون خروج الكاتب من معنى إلى معنى برابطة، وأن يكون الفاظ الكتاب غير مخلوفة بكثرة الاستعمال، ثم ألا يخلو من معنى من معاني القرآن الكريم والأخبار النبوية، فإنها معدن الفصاحة والبلاغة(ابن الأثير، 72، 73).

والمتتبع لخطة الكتابة الأندلسية يلاحظ أن الأندلسيين التزموا بهذه الأركان، حيث كانوا يختارون كتاب الرسائل من أهل الأدب والثقافة، وممن ملكوا تقاليد البلاغة والفصاحة واتصفوا بالملكة البيانية وغيرها من أدوات الكتابة(القيسي، 93).

ويرى الباحث من خلال تتبعه لرحلة الكتابة الأندلسية أن الكاتب الأندلسي اتخذ من تلك الشروط نبراساً يستنير به في سائر كتاباته فطرق جل فنون النثر العربي من رسائل وخطب وتوقيعات وحكايات وحكم ووصايا، فصاغ أحاسيسه ومشاعره في نثر رائع طالما تناقلته الأجيال من بعده.

وتاريخ الأندلس شاهد على ظهور عدد كبير من الكتاب البلغاء الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ الأدب الأندلسي، كالذخيرة والقلائد والمطمح والجذوة وغيرها من شواهد حية تحكي سيرتهم وتشهد بفضلهم.

ومن الكتاب الذين أحرزوا صيتاً شهيراً الوزير الكاتب أبو جعفر ابن اللمائي (465هـ)، قال عنه صاحب الذخيرة: "كان أحد أئمة الكتاب، وشهب الآداب ومن سخرت له فنون البيان، تسخير الجن لسليمان، وتصرف في محاسن الكلام، تصرف الرياح بالغمام"، ووصفه صاحب المطمح بأنه: "إمام الكتابة ومفجر ينبوعها، إذا كتب نثر الدرر في المهارات، ونمت فيها أنفاسه كالمسك في المهارق"(ابن بسام، 2/1: 617).

وكان أبو عبد الله بن عبد البر، من أهل الأدب البارع والبلاغة الرائعة، والتقدم في العلم والذكاء، عمل في بلاط المعتضد بن عباد ثم عزله، قال عنه صاحب القلائد: "بحر البيان الزاخر، وفخر الأوائل والأواخر، وواحد الأندلس الذي فاز فيها بحظ الظهور، وحاز قصب السبق بين ذلك الجمهور(القلائد، 2: 538).

وأما أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم، فقد كان من بيت علم وأدب، وصفه ابن خاقان بأنه: "في الكتابة أوحد، لا ينعت ولا يُحد ... إذا كتب وَشّى المهارق ودبج، وركب من بحر البلاغة الثبّج"(المطمح، 202).

ومن شعراء الدولة العبادية وأدباءها يطالعنا أبو الحسين سراج بن عبدالملك الذى كان من أهل الأدب والفضل، ذكره ابن سعيد بقوله: "اسم وافق مُسَمّاه ولفظ طابق معناه، فأنه سراج علم وأدب، وبحر لغة لسان العرب"(ابن سعيد، 1: 116).

ومما تجدر الإشارة إليه أن ثقافة الكاتب الأندلسي لم تقف عند حدود الأدب فحسب، بل تجاوزت معرفته علوماً أخرى كعلوم الدين والفقه والتفسير والحديث والقراءات، يقول الحميدي في ترجمته لأبي عمر يوسف بن عبد البر: "فقيه حافظ مكثر، عالم بالقراءات وبالخلاف بالفقه، وبعلوم الحديث، ألف مما جمع تواليف نافعه سارت عنه"(الضبي، 586).

ولم يقف حد الكتابة عند الرجال فحسب، بل نبغ عدد من النساء الكاتبات منهنّ مزنة كاتبة عبدالرحمن الناصر، وكانت حاذقة من أخطَّ النساء، ومنهن لبنى كاتبة الحكم المستنصر، فقد كانت حازمة بالكتابة، نحوية شاعرة، مشاركة في العلم، ومنهن عائشة بنت حمد القرطبية، وكانت حسنة الخط تكتب المصاحف والدفاتر.

وشاركت المرأة في مهنة الوراقة، حيث ذكر المراكشي في المعجب أنه "كان بالربض الشرقي: في قرطبة مئة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي، هذا في ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها(المراكشي، 456، 457).

وبلغ من أهمية الكتابة في العصر الأندلسي نبوغ أُسَرٌ كاملة في الكتابة، فقد شاعت الكتابة بين عدد من أفراد الأسرة الواحدة كأسرة بني أمية بن يزيد التي كانت بيت الكتابة لبنى مروان بالأندلس.

وكان الوزراء بنو القبطرنة أسرة أصالة وبيت جلالة، وصفهم صاحب القلائد بقوله: "هم المجد كالأثافي، وما منهم إلا موفور القوادم والخوافي، إن ظهروا زهروا، وإن تجمعوا تضوعوا وإن نطقوا صدقوا(القلائد، 429).

وقد وصل الحد أن أصبحت الكتابة متوارثة يتوارثها الأبناء عن الآباء في الأسرة الواحدة، ومن ذلك ما ذكره ابن بسام في ترجمته لأبي عمر الباجي، إذ يقول: "وكان أبو عمر يوسف بن جعفر المعروف بابن الباجي من بلغاء الكتاب، وأغرب شأو جده الباجي في الولادة كل الإغراب، في صلة حمل البلاغة على جميع كتاب الإسلام، لأنه أنسل أربعة من حملة الأقلام وفرسان الكلام، أولهم جده يوسف وابنه جعفر بن يوسف، وعبدالله ويوسف ابن ابنه جعفر، ويوسف هذا هو المكنى بأبي عمر"(ابن بسام، 2/2: 186).

وقد ذكره الأصفهاني في الخريدة بأنه (من أئمة الفقهاء والكتاب البلغاء، وله التصانيف الحسنة الشرعية، والمؤلفات المرضية المرعية)(الأصفهاني، 1971، 2: 133).

وبلغ من عناية بعض الكتاب الأندلسيين بكتاباتهم أنهم لا ينشئونها إلا بعد الجهد والتنقيح والتجويد، فكان أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج واحداً من هؤلاء، يروى أن المنصور بن أبي عامر لما فتح شنت ياقب، استدعي ابن الدراج وأبا مروان عبدالملك بن إدريس الجزيري، وأمرهم بإنشاء كتب الفتح إلى الحضر وإلى سائر الأعمال، فأمّا ابن الجزيري فقال: سمعاً وطاعة، وأمَّا ابن دَرَّاج فقال: لا يتم ذلك في أقل من يومين أو ثلاثة، وكان معروفاً بالتنقيح والتجويد والتؤدة(الضبي، 1989، 1: 201).

وقد نال بعض الكُتاب من المال والجاه والشهرة ما تصبو إليه النفوس وتشرئب له القلوب، ف الكاتب عبدالرحمن بن أسباط (487هـ) كان كاتباً منجباً، أقره أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كاتباً له فنال ما شاء مما ترتمي إليه الهمم، جاهاً ومالاً وشهرة، وكان رجلاً حصيفاً سكوناً، عاقلاً، مجدي الجاه شهير المكانة(الخطيب،1975، 235).

ومن الكتاب الذين تركوا بصمات ظاهرة في تاريخ الكتابة الأندلسية، ابن زيدون الذي وصفه صاحب المسالك بقوله: "كان أبو الوليد أحد من جَرَّ الأيام جراً، وفات الأنام طراً إلى أدب ليس للبحر تدفقه، لا للبدر تألقه... وحط من النثر غريب المباني شعرى المعاني"(العمري، 1988، 4).

تأثر الكتاب الأندلسيين بالكتاب المشارقة:

لقد كان من أسباب تطور الكتابة في الأندلس تأثر الكتاب بأساليب النثر المشرقي، ومذاهبه الفنية كأسلوب عبد الحميد الكاتب الذي يُعَدَّ مبتكر أدب الرسالة الفنية في المشرق في أواخر العصر الأموي(القيسي، 91)، فالشخصية الأدبية الأندلسية كانت تؤصل قوتها الفنية على الأصول المشرقية، حتى ليقول صاحب الذخيرة على ذلك التأثر: "إلا أن أهل هذا الأفق، أبو إلا متابعة المشرق .. حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب لو ظنَّ بأقصى الشام العراق ذياب لجثوا على هذا صنماً، وتلوا ذلك كتاباً محكماً"(ابن بسام، 1/1/ 12).

فالأدب الأندلسي وثيق بأدب المشرق، وهو امتداد له، ومن يدرس أدب الأندلسيين يدرك حقيقة هذه العلاقة من خلال جوانب عدة.

ومن جوانب هذا التأثر تأثر الأندلسيين بطريقة الجاحظ الفنية، حين تأثر ابن برد في برسالة (البديعة) الجاحظ التي كتبها علي لسان سهل بن هارون فإن بسرد يرد في تلك الرسالة علي من عابه باستعمال جلود الشاء بأسلوب أشبه بأسلوب الجاحظ في الرد علي من عاب سهل بن هارون بشدة الحرص والتدقيق في إنفاق المال.

إن التأثر يعد في جوهره محاولة من الأندلسيين لإيجاد قاعدة فكرية في بلادهم تعد امتداداً لما كان في المشرق، ليكون الأدب الأندلسي تعبيراً عن شعور أهله بالانتماء إلى الأصل، والرغبة في استمرارية الارتباط به(تقهان، 1994، 64، 65).

لهذا نجد دارس الأدب الأندلسي يشعر أنه أمام أدبين: أدب قوة وأدب معرفة، فالأول يمثل المشرق والثاني يمثل الأندلس، وأهل الأندلس يتعلقون بكل ما هو مشرقي، ثقة منهم أن الحضارة قد نبعت من ذاك المكان، وتنفيذاً لحب قد زرعه الأجداد في نفوسهم(تقهان،60).

ولا يعني هذا أن الأندلسيين وقفوا عند حّدّ التأثر بالأدب المشرقي، بل ابتكروا في بعض الأحيان جوانب عديدة سبقوا المشارقة إليها، ففي أدب الرسائل وَسّع الأندلسيون ميادينها، ومن ذلك أنه كان لرسالة عبد الحميد الكاتب في وصف الصيد أثر كبير في أدب الرسائل في الأندلس، إذ إنهم نقلوا موضوع الطرد من

الشعر إلى النثر، وابتدعوا لوناً جديداً من الطرديات هو صيد البحر، وهو لون جديد لم يعرفه أدب الرسائل في المشرق.

إن التجديد في الأدب الاندلسي لم يكن قد تجاهل التراث الفكري للأمة، بل انطلق منه بهدف البدء بالتجديد من أبعد نقطة وصل إليها التراث، فالتراث مجال التحديد ومادته، وبهذه الطريقة فإن أهل الأندلس كانوا أكثر وفاء للروابط التي تربطهم بالمشرق، حتي أنهم عندما يريدون وصف أديب أو شخص مثقف يبحثون فوراً في ذاكرتهم عن المشرقي الذي يمكن أن يقرن إليه، ويتجلى إعجاب الأندلسيين بالمشارقة في أنهم يحبون أن ينادوا أدباءهم بأسماء لأدباء من الشرق، فالأصمعي يقصدون به في الأندلس محمد بن سعيد الزجالي، وابن خفاجة صنبوري الأندلس(بيريس، 50، 51).

لقد كانت الحركة العلمية في الأندلس متناسقة مع ما يجري في المشرق، وكان علماء ذوو شأن يفدون إلى الأندلس أو يستقدمون، ولا يُنسى في هذا الجانب أثر أبي على القالي البغدادي وما أضافه من جوّ علمي وثقافي عام في جوانب اللغة والنحو والأدب وغيرها، وما خرج به تلاميذه(رضوان، 2000، 46).

إن طوابع الحياة الأدبية في الأندلس – من الوجهة العلمية – هي نفس طوابع المشرق، وإن ظهر اختلاف ففي الفروع لا في الأصول، فإن الأصول كانت أقوى من أن تتأثر بالفوارق الإقليمية ، وقد كتب ابن شهيد رسالة التوابع والزوابع وعرض فيها الشياطين الشعراء والكتاب الذين أجازوه، وكلهم من شعراء المشرق وكتابه(ضيف، 318).

لقد تأثر الكتاب الأندلسيون بالرسائل الرائعة التي ابتدعها عدد من كتاب المشارقة من أمثال: سهل بن هارون، والجاحظ، وبديع الزمان الهمذاني، وغيرهم، والتي انتقلت فيما بعد إلى الأندلس، واستقوا من تلك الرسائل، حتى تمكنوا من ابتكار ألواناً جديدة من الرسائل كان لها فضل السبق فيها، كرسائل الشوق والوجد الديني لزيارة قيد الرسول – صلى الله عليه وسلم – وتأدية فريضة الحج(القيسي، 147).

الخاتمة

نخلص مما سبق إلى الآتي:.

1- تطور أدب الرسائل في القرن الخامس الهجري تطوراً لم يسبق له مثيل في القرون السابقة.

ومن مظاهر تطوره ترسم كتّاب الأندلس خطى المشارقة وتأثرهم بالنثر المشرقي في الأغراض وطرائق التعبير.

2- شهد تاريخ الأندلس على ظهور عدد كبير من الكتّاب البلغاء الذين تركوا بصمات واضحة في تاريخ الأندلس كالذخيرة، والمطمح والجذوة، ولم يقف حد الكتابة عند الرجال فحسب؛ بل نبغ عدد من النساء الكاتبات اللواتي شاركن في مهنة الوراقة.

3- من عناية بعض الكتاب الأندلسيين لكتاباتهم أن لا ينشؤوها إلا بعد الجهد والتنقيح والتجويد.

وقد حظي الكتّاب والشعراء بمكانة عالية ، ولا سيما في بلاط الملوك والوزراء التي كانت مسرحاً للمطارحات الأدبية والمناظرات النقدية.

إن معظم كتّاب الأندلس يجمعون بين النثر والشعر ويجيدوهما، لذلك فإن لفظة الكاتب في الأندلس تطلق على طبقتين من الناس كتّاب الرسائل وكتّاب الزمان.

المراجع:

1- ابن الاثير(1939) ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ، تحقيق محمد محي الدين، مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي بمصر.

2- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ، تحقيق علي عبدالواحد، دار النهضة، مصر، القاهرة.

3. ابن الصرفي، القانون في ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة، .

4- ابن محمد (1980)، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري، مضامينه وأشكاله، دار الغرب، بيروت.

5- بن بسام، أبو الحسن علي(1989)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

6- بيريس، هنري(1988) ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ملامحه العامة وموضوعاته الرئيسية وقيمته التوثيقية، ، ترجمة الطاهر المكي، دار المعارف، ، ط1.

7. التلمساني، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري(1988)،نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ، إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

8- الجبروى، سعد (2002)، ثقافة الشاعر وأثرها في معايير النقد العربي القديم حتى نهاية العصر العباسي، ، مؤسسة الرسالة، دمشق.

9. الجبوري، ثقافة الشاعر وأثرها في معايير النقد العربي القديم حتى نهاية العصر العباسي ، لا ط.

10. جرار، صلاح وأخرون(2000)، التوقيعات الأندلسية، ، منشورات جامعة آل البيت لا بلد، لا ط، .

11- الأشجعي، أحمد بن عبد الملك بن شهيد(1983) ، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس الفتح بن خاقان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ، ط1.

12. الإشبيلي، أبو القاسم محمد بن عبدالغفور(1985) ، إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في الشرق والأندلس، الكلامي، تحقيق محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت.

13. الشريف، العربي ، دراسات في الأدب الأندلسي، ، دار شموع للثقافة.

14. عباس، إحسان(1985)، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين، ، دار الثقافة، بيروت، ، ط7.

15. عباس، احسان(2001) ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ، دار الشروق، ، ط1.

16. عتيق، عبدالعزيز(1976) الأدب العربي في الأندلس، ، دار النهضة، بيروت.

17. ضيف، شوقي ، فصول في الشعر ونقده، ، دار المعارف، ط2.

18. ضيف، شوقي(1960) ، الفن ومذاهبه في النثر العربي، ، دار المعارف بمصر، ، ط3.
19. نجا، أشرف محمود(2006) ، في الأدب الأندلسي بحوث في نقد الخطاب الإبداعي، ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، .
20ـ الكاتب، عبدالحميد 1988 وبعض من رسائله أبي العلاء إحسان عباس، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمار، ، ط1.
21ـ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ، تعليق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
22. القيسي، فايز(1989) أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ، دار البشير، عمان.
23. البطليوسي،أبو محمد(1981) ، الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، ، تحقيق مصطفي السقا، حامد عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
24. بن سعيد، علي بن موسي، المغرب في حلي المغرب، ، دار المعارف، القاهرة.
25. المراكشي، عبدالواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ، تحقيق محمد سعيد العريان، الجمعية العربية المتحدة، لجنة إحياء التراث.
26. الاصفهاني، عماد الدين(1971) ، جريدة القصر وجريدة العصر، ، تحقيق: آذرتاش أذرلوش، الباب التونسية للنشر.
27. الضبي، احمد ابن يحي(1989) بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ، تحقيق إبراهيم الأنباري، دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة، بيروت.
28. الخطيب، لسان الدين(1975) ، الإحاطة في أخبار غرناطة، ، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.
29. العمري، شهاب الدين بن فضل(1988) ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ، منشورات تاريخ العربية الإسلامية.
30ـ تقهان، عبدالله(1994) ، ظاهرة الانتماء في الأدب الأندلسي، ، مجلة دراسات أندلسية العدد الحادي عشر
31. رضوان، محمد(2000) ، في الأدب الأندلسي، ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ، ط1.